الفصل الثاني

مثيرو الفتنة وبدؤها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: مثيرو الفتنة .

المبحث الثاني: قدوم أهل الأمصار .

المبحث الأول
مثيرو الفتنة

أخبر النبي ﷺ بوقوع الفتنة[1]، وإخباره حق وصدق ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [2] ، وإخباره هذا من الأمور الغيبية التي أطلعه الله عليها.

إذاً فوقوعها محقق، وقد حدد ﷺ وقتها، وأنها ستكون في سنة من ثلاث ، إما الخامسة، أو السادسة، أو السابعة بعد الثلاثين من الهجرة[3].

فترى متى ستقع؟ ومن سيبوء بإثم إشعالها؟ وكيف ستبدأ؟ وماذا سيكون موقف عثمان رضي الله عنه ـ منها؟

قبل الحديث عن ذلك كله،أود أن أشير إلى أن ثمة روايات ضعيفة الإسناد تتهم بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالتحريض على عثمان رضي الله عنه.

ومعلوم كما تقدم أن علاقة المسلم بصحابة رسول الله ﷺ من أمور العقيدة التي لا تقبل فيها إلا الروايات الصحيحة.

وهذه الروايات التي تتهمهم لا تخلو أسانيدها من علة، إن لم تجتمع في الإسناد الواحد منها عدة علل، ونجد في الغالب في أسانيدها من هو متهم

---

(١) ـ قد تقدم التفصيل في ذلك في التمهيد، انظر الصفحات ص٤٠-٤٨.

(٢) ـ سورةالنجم ، الآية ٣ ـ ٤ .

(٣) ـ كما في الحديث الصحيح الذي تقدم ص ٤٣.

بالرفض، أو رافضي جلد.

وهؤلاء الصحابة المتهمون ـ باطلاً وزوراً ـ بالتأليب على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقتله ، قد عدَّلهم الله -جل وعلا- في مواضع عديدة من كتابه العزيز.

بل رضي عنهم ، وشهد لهم بأنهم قد رضوا عنه، وذلك في قوله: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**[1] ﴾.

«والرضى من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً» [2].

والأدلة على تعديل الله ورسوله ﷺ للصحابة - رضي الله عنهم ـ متضافرة متواترة، تحيط شخصيتهم بالإجلال والاحترام، وتحجز المؤمن عن النيل منهم والخوض فيما شجر بينهم ـ إن ثبت شيء من ذلك ـ فضلاً عن أن يعتمد في ذلك شيئاً لم يثبت له إسناد، ولا متن.

فمن هذه الأدلة قوله جل وعلا: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾... [3].

ومما صح عن النبي ـ ﷺ في فضلهم قوله: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم

---

(١) ـ سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

(٢) ـ ابن تيمية (حكم سب الصحابة ٣٦ ـ ٣٧).

(٣) ـ سورة الفتح، آية ٢٩ .

ولا نصيفه»[1].

إلى غير ذلك من النصوص المستفيضة الدالة على فضلهم، وعدالتهم[2]، فلا يحق لأحد أن يتهمهم بعد تعديل الله لهم، وثناء الرسول عليهم، ومعرفة الأمة لقدرهم في حمل الإسلام والجهاد في سبيل الله، لإقامة صرح دولته وبناء حضارته.

ومن هذه التهم الباطلة الملفقة؛ ما روي في اتهام عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ بالتأليب على عثمان ـ رضي الله عنه. [3]

فإن أسانيد الروايات التي تتضمن هذه التهمة ضعيفة؛ لا تخلو من علة، كما أن في متونها نكارة، فإنها تثبت أن عماراً ـ رضي الله عنه ـ كان عاتباً على عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، ثم أرسله عثمان إلى مصر إلى أناس قد استمرحوا واستعلى

---

(١) ـ رواه البخاري، الجامع الصحيح، فتح الباري، ٧/ ٢١ ، ومسلم، الجامع الصحيح، باب تحريم سب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ٤/ ١٩٦٧ ، وأبو داود ، الترمذي، وأحمد بن حنبل: كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومسلم وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ـ انظر في ذلك الآية ٢٩ من سورة الفتح، والآية ٥٩ من سورة النمل، و(صحابة رسول الله) للكبيسي و(النهي عن سب الأصحاب) للمقدسي، و (حكم سب الصحابة) و(منهاج السنة النبوية ٦/ ٢٠٦ ـ ٢٤١) كلاهما لابن تيمية، (والكفاية للخطيب البغدادي)، و (الرياض النضرة ١/ ١ ـ ٦٠) للمحب الطبري، و(شرح السنة) للبغوي ١٤/ ٨٦، و (جامع البيان في تفسير القرآن) للطبري ١٩/ ٢ ، و(الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر ١/ ٩ ـ ١٢ ، و(تنبيه ذوي النجابة إلى عدالة الصحابة) لقرشي بن عمر بن أحمد، و(الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة) لمحمد بهجة البيطار، (ومنزلة الصحابة في القرآن) لمحمد صلاح محمد الصاوي.

(٣) ـ روى ذلك ابن شبة في تاريخ المدينة، ٣/ ١١٢٢ ـ ١١٢٣ ، بإسناد ضعيف ،من رواية محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، وروايته عنه مرسلة، يقول أبو زرعة: «محمد ابن عبدالرحمن بن ثوبان عن عثمان : مرسل» (انظر جامع التحصيل للعلائي ٣٢٦).

أمرهم وبغيهم ، ليعتبهم من كل ما عتبوا ، ولأن يقول بالمعروف ، وينشر الحسنى، ليصلح الله به فساداً.

فهل يتوقع أن يرسله عثمان إلى أناس بهذا الوصف، ليعتبهم، وهو عاتب عليه!، ألم يجد غيره ممن هم راضون عنه؟

ولم يثبت في الروايات الصحيحة أن عماراً ـ رضي الله عنه - عتب على عثمان- رضي الله عنه- ولا أنه أرسله إلى مصر.

والذي تصوره أحداث هذه الفتنة أن إشعالها تم من خلال تخطيط دقيق منظم، مما يؤكد أن وراءها جماعة منظمة، تهدف إلى إشعالها، تحقيقاً لمصالحها الدنيئة، وإضعافاً لقوة أعدائها، ومن المبالغة عزو ذلك كله إلى فرد واحد.

ولاشك أن لهذه الجماعة السرية ممثلين ووجهاء، كان من أبرزهم عبدالله بن سبأ اليهودي، تلك الشخصية التي دار حول إثبات حقيقتها، ودورها في الفتنة نقاش وجدال، وخصام بين كثير من الدارسين والباحثين.

والذي أكسب هذه الشخصية هذا الاهتمام هو أثرها الفعال في إشعال الفتنة، في خلافتي عثمان، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ وفي إنشاء عقيدة الرافضة في الرجعة والوصية[1] وسب الصحابة ـ رضوان الله عليهم.

ونجد أن أبرز النافين لحقيقة هذه الشخصية ـ التي اعتمد الرافضة ما ابتدعته ـ هم أبناء هذه العقيدة الضالة[2]، سوى قلة قليلة منخدعة بأقوالهم ومغرر بهم.

وهذا النفي عبارة عن محاولة فاشلة منهم لستر حقيقة ارتباط الرافضة باليهود

---

(١) ـ انظر الفرق بين الفرق لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي الإسفرائيني (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) ص١٦.

(٢) ـ من هؤلاء مرتضى العسكرى ، فقد ألف عن ابن سبأ كتاباً مستقلاً، حشره بالمغالطات وجانب فيه المنهج العلمي في البحث والتأليف.

وأنها مستمدة منهم، وليس هذا هو الدليل اليتيم في ذلك، فإن جل عقائد الرافضة تدل على ذلك، يعرف ذلك من يقارن بينها، وبين عقائد اليهود أدنى مقارنة[1]، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية نقلاً عن الشعبي، عدداً من الصفات التي يلتقي فيها الروافض مع أسلافهم من اليهود[2].

وقد مال بعض المستشرقين[3] إلى هذه الفكرة التي تساعد الرافضة على التملص من هذا الالتقاء، وذلك ضمن سلسلة محاولاتهم التي تهدف إلى هدم الإسلام، وتشجيع، ومعاونة كل ما من شأنه إضعاف لهذا الدين القويم.

وتابعهم عدد من الكتاب المسلمين، وكان عمدة من نفى ثبوت شخصية عبدالله بن سبأ ، أن سيف بن عمر التميمي، قد انفرد بإثبات هذه الشخصية، وأن سيفاً هذا ضعيف طعن فيه جمع من العلماء.

وتناقل بعض مثقفي العصر هذه المعلومات مسلَّمة، واقتنع بها بعضهم دون تحقق من صحتها، حتى إن أحد الباحثين[4] ألف في تأكيد ذلك دراسة مستقلة؛ لم تَعْدُ نتائجه التي توصل إليها من دراسته تلك النتائج السابقة.

---

(١) ـ انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبدالله الجميلي.

(٢) ـ انظر منهاج السنة النبوية ١/ ٢٢ ـ ٤٢ .

(٣) ـ منهم : الدكتور اليهودي الإنكليزي/ برنارد لويس، واليهودي الألماني فلهوزن، والإمريكي / فريدلاندر ، والإيطالي / كايتاني (انظر ابن سبأ حقيقة لا خيال للدكتور / سعيد الهاشمي)

(٤) ـ انظر (عبد الله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة)، رسالة نشرتها جامعة الكويت في حوليات كلية الآداب ١٤٠٧ هـ، وتقع الرسالة في تسعين صفحة ، الحولية الثامنة ـ الرسالة الخامسة والأربعون، وقد نشرت نبذة عنها مجلة عالم الكتب، المجلد الثامن، العدد الرابع، ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ، الصفحات المخصصة للكتب الحديثة).

ففي ملخص هذه الرسالة الذي صدر بـ : «وقد خلص الباحث إلى أن روايات سيف بن عمر، وروايات كتب الفرق والأدب عن ابن سبأ غير صحيحة، وأن ابن سبأ شخصية وهمية، وأن الدور المنسوب إليه في خلق، وتسيير أحداث الفتنة دور مزعوم»[1].

والمنهج الذي سلكه الباحث، منهج ضعيف في إثبات الحقائق ونفي الأساطير، فقد اعتمد فيه مؤلفه مصادر محدودة ، ونفى ما لم تذكره تلك المصادر، متوهماً وموهماً أنه قد حصر روايات التاريخ الإسلامي كلها، ومن ثم نفى هذه الشخصية لعدم وجودها في روايات موثوقة فيما اطلع عليه من مصادر، وهذا منهج ضعيف، والنتيجة المبنية عليه نتيجة غير صحيحة حيث إنّ هناك روايات موثوقة تثبت هذه الشخصية، بل وتزودنا ببعض التفاصيل عنها ، وسيأتي ذكرها.

وقد تنبه بعض الباحثين إلى خطأ هذه النتائج النافية لشخصية ابن سبأ، وكتبوا في إثباتها صفحات علمية قوية.

منهم: الدكتور/ سليمان العودة، في رسالته، عبدالله بن سبأ ودوره في إشعال الفتنة . . . ؛ حيث توصل فيها إلى إثبات هذه الشخصية، وإثبات دورها في إشعال وإذكاء الفتنة التي أدت إلى قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ ومن ثم موقعة الجمل.

ومنهم: الدكتور/ سعدي الهاشمي، في محاضرته التي طبعت تحت عنوان (عبدالله بن سبأ حقيقة لا خيال)، فقد أثبت فيها أن ابن سبأ حقيقة؛ من كتب أهل

(١) ـ ص ٩ من الرسالة نفسها.

السنة والشيعة معاً، عازياً كل معلومة إلى مصادرها من كتبهم[1].

ومساهمة مع هذين الأستاذين الفاضلين أذكر بعضاً من الروايات المسندة الصحيحة، والحسنة، والضعيفة، التي وردتنا من غير طريق سيف بن عمر التميمي، تثبت شخصية ابن سبأ.

فمنها: ـ

١ ـ ما رواه أبو إسحاق الفزاري بإسناد صحيح إلى سويد بن غلفة[2] «أنه دخل على علي ـ رضي الله عنه ـ في إمارته، فقال: إني مررت بنفر، يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبدالله بن سبأ، وكان عبدالله ابن سبأ أول من أظهر ذلك فقال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبدالله بن سبأ، فسيَّره إلى المدائن، وقال: لا يساكنني في بلدة أبداً، ثم نهض إلى المنبر، حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما [3] بطوله: ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما، إلا جلدته حد المفتري»[4].

وهذه الرواية ليست من روايات سيف بن عمر التميمي، كما إنها صحيحة

---

(١) ـ طبعت هذه المحاضرة في عام ١٤٠٦ هـ، ونشرتها مكتبة الدار في المدينة النبوية.

(٢) ـ ترجم له.

(٣) ـ أي: أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما.

(٤) ـ ذكره عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، ٣/ ٢٩٠ ، والإسناد صحيح ؛ رجاله كلهم ثقات، انظر الملحق الروايتين: [٣٩٠، ٣٩٤] ، وابن عساكر ، تاريخ دمشق (جزء : عبدالله بن سالم ـ عبدالله ابن أبي عائشة ص ٥).

الإسناد، فإن رجالـها كلهم ثقات، ولو لم يرو غيـرها لأغنت في هدم كل ما بناه من تهور فوهّم وسطّر شخصية ابن سبأ.

٢ ـ ما رواه ابن عساكـر من طريق: جابر، قال: لما بويع علي خطب الناس، فقام عليـه عبدالله بن سبـأ، فقال له : أنت دابة الأرض[١]. قال: فقال له: أنت الملك، فـقال له: اتق الله. فـقال له: أنت خـلقت الخلق، وبسطت الرزق، فأمـر بقتله. فاجتمعت الرافضة؛ فـقالت: دعه، وانفه إلى ساباط المدائن، فإنك إن قتلته بالمدينة خرجت أصـحابه علينا وشـيعته، فنـفاه إلى ساباط المدائن، فَـثَمّ القرامطة والرافضة، قال: ثم قامت له طائفة وهم السبئـية، وكانوا أحد عشر رجلاً. فقال: ارجعـوا ، فإنـي علي بن أبي طالب، أبي مشـهور وأمي مـشهـورة، وأنا ابن عم مـحمـد ﷺ فقـالوا: لا نرجع، دع داعـيك ، فأحـرقهـم بالنار، وقبـورهم في الصحراء، أحد عشر مشهورة. فقال من بقي ممن لم يكشف رأسه منهم: علمنا أنه إله؛ واحتجوا بقول ابن عباس : لا يعذب بالنار إلا خالقها.

قال ثعلب: وقد عذب بالنار قبل علي أبوبكر الصديق، شيخ الإسلام ـ رضي الله عنه ـ وذاك أنه رفع إليه رجل يقال له الفجـاءة؛ وقالوا إنه شتم النبي ﷺ، بعد وفاته، فأخرجه إلى الصحراء فأحرقه بالنار.

قال: فقال ابن عباس :قد عذب أبو بكر بالنار فاعبدوه أيضا[٢].

٣ ـ وما رواه ابن عساكر أيضاً من طريق :سماك قال: بلغ علياً أن ابن السوداء ينتقص أبابكر وعمـر، فدعا به، ودعا بالسيف ـ أو قال : فهمَّ بقـتله ـ فكلم فيه،

(١) ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق الموضع السابق.

(٢) ـ المصدر السابق وانظر الملحق الرواية رقم : [٣٩٨].

فقال: لا يساكنني ببلد أنا فيه. قال: فسيره إلى المدائن[1].

٤ ـ وما رواه ابن عساكر من طريق: أبي الطفيل أنه قال: رأيت المسيب بن نجبة أتى به ملببة ـ يعني: ابن السوداء ـ وعليٌّ على المنبر فقال علي: ما شأنه ؟ فقال: يكذب على الله ورسوله[2].

٥ ـ ما رواه ابن عساكر من طريق: زيد بن وهب وأبي الزعراء عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:

ما لي وما لهذا الحميت[3] الأسود؟ [4].

وفي رواية : «ما لي ولهذا الحميت الأسود؟ يعني عبدالله بن سبأ ـ وكان يقع في أبي بكر وعمر»[5].

٦ ـ ما حسّنه الحافظ ابن حجر من رواية أبي طاهر المخلص من طريق شريك العامري أنه قال: قيل لعلي:

إن هنا قوماً على باب المسجد يدّعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا : أنت ربنا، وخالقنا، ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا.

---

(١) ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق (جزء عبدالله بن سالم ـ عبدالله بن أبي عائشة ص ٧) ، وانظر الملحق الرواية رقم :[٣٩٦].

(٢) ـ ابن عساكر ، تاريخ دمشق(جزء: عبدالله بن سالم ـ عبدالله بن أبي عائشة ص ٥) انظر الملحق الرواية رقم:[٣٩٥].

(٣) ـ الحميت هو :الزق (ابن منظور، لسان العرب ٢/ ٢٥).

(٤) ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق (جزء: عبدالله بن سالم ـ عبدالله بن أبي عائشة ص٥). انظر الملحق الرواية رقم:[٨].

(٥) ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق (جزء: عبد الله بن سالم ـ عبدالله بن أبي عائشة ص٥).

فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر[1] فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم فقالوا: كذلك، فلما كان الثالث قال لئن قلتم ذلك لاقتلنَّكم بأخبث قتلة، فأبوا إلاَّ ذلك، فقال: ياقنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم فخدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود.

وقال : إني طارحكم فيها، أو ترجعوا ، فأبوا أن يرجعوا فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً[2]

٧ ـ ما رواه ابن سعد من طريق: أبي المنجاب:

أن رجلاً كان يأتي إبراهيم النخعي فيتعلم منه فيسمع قوماً يذكرون أمر علي وعثمان فقال: أنا أتعلم من هذا الرجل، وأرى الناس مختلفين في أمر علي وعثمان فسأل إبراهيم النخعي عن ذلك فقال:

(ما أنا بسَبَلِيّ ولا مرجئ)[3].

٨ ـ ما رواه ابن عساكر، من طريق حجية بن عبدى الكندي، قال: رأيت علياً ـ كرم الله وجهه ـ وهو على المنبر وهو يقول: من يعذرني من هذا الحميت الأسود؛ الذي يكذب على الله وعلى رسوله؟ ـ يعني: ابن الأسود ـ لولا أن لا يزال يخرج عليَّ عصابة تنعى عليَّ دمه كما ادُّعيت عليَّ دماءُ أهل النهر لجعلت

(١) ـ قنبر خادم علي بن أبي طالب (ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ٧/ ١٤٦).

(٢) ـ ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ٢٧٠.

(٣) ـ ابن سعد، الطبقات ٦/ ٢٧٥) انظر الملحق الرواية رقم: [٣٩٣].

منهم ركاماً[1]

ولإحراقهم شاهد رواه البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: أتي علي ـ رضي الله عنه ـ بزنادقه فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله ﷺ «لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ : من بدّل دينه فاقتلوه» [2].

٨ ـ ما رواه ابن عساكر بإسناد حسن عن الشعبي أنه قال :«أول من كذب عبدالله بن سبأ [3].

والشعبي ولد في ما يقارب سنة عشرين من الهجرة، وتوفي بعد المائة بقليل؛ أي قبل ولادة سيف بن عمر التميمي ـ تقريباً، وهذا دليل قاطع على أن ابن سبأ كان معروفا قبل نهاية القرن الأول.

إلى غير هذه الروايات[4] التي رواها غير سيف بن عمر، ونجد أنها تتفق على أثبات شخصية عبدالله بن سبأ، بل تُبرز شيئاً من عقيدته، ودوره في نشرها بين الروافض، وعن بعض دوره في إشعال الفتنة.

فترى ماذا سيكون موقف من يوهم شخصية ابن سبأ منها؟ مع اعتماده في توهيمه إياها على أن سيفاً قد انفرد في إثباتها.

وبهذا يتبين بطلان ما ذهب إليه من وهم شخصية ابن سبأ وجعلها شخصية خيالية، مدعياً تفرد سيف بن عمر بإثباتها، بل جعلها من نسج خيال سيف.

(١) ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق(جزء: عبدالله بن سالم -عبدالله بن أبي عائشة ص٦) انظر الملحق الرواية رقم: [٣٩١].

(٢) ـ فتح الباري ٦/ ١٤٩، ١٢/ ٢٦٧.

(٣) ـ رواه ابن عساكر (تاريخ دمشق(جزء: عبدالله بن سالم ـ عبدالله بن أبي عائشة ص٤).
وانظر الملحق الرواية رقم: [٣٨٩].

(٤) ـ انظر هذه الروايات مجموعة مع تخريجها والتعريف برجالها في الملحق الروايات رقم:[٣٨٩-٣٩٨].

المبحث الثاني
قدوم أهل الأمصار

بعد أن حرض البغاة أهل الأمصار على الخليفة ـ رضي الله عنه- اتجهوا إلى المدينة، فقدم أهل مصر، وأهل العراق ،والتقوا بعثمان ـ رضي الله عنه ـ وتفاوضوا معه.

ولما علم الناس بمسير المصريين إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ أتى بعض الناس إلى حذيفة، فقالوا له: إن هؤلاء ساروا إلى هذا الرجل فما تقول؟ قال: يقتلونه والله، فقالوا له: أين هو؟ فقال: في الجنة والله ، فقالوا: فأين قتلته؟ فقال: في النار والله[1].

خرج القوم من مصر ، قاصدين المدينة، وبلغ خبر قدومهم عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، قبل وصولهم ، وكان في قرية خارج المدينة،فلما سمعوا بوجوده فيها، اتجهوا إليه فاستقبلهم فيها[2]، ولم تصرح لنا الروايات باسم هذه القرية، ويحدد المدائني تاريخ قدومهم بليلة الأربعاء هلال ذي القعدة [3].

التقى القوم بعثمان ـ رضي الله عنه ـ في هذه القرية فقالوا : ادع بالمصحف فدعا به، فقالوا: افتح السابعة، وكانوا يسمون سورة يونس بالسابعة ـ فقرأ حتى

---

(١) ـ رواه ابن أبي شيبة، المصنف ، ٢٠٦/١٥، ويعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ وصححه، ٧٦٢/٢. ٧٦٨، وابن عساكر ، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، ٣٨٨ - ٣٨٩، وذكر المحب الطبري، في الرياض النضرة ، ٣/ ٨٠ وإسناده صحيح، انظر الملحق الرواية رقم: [١١٤]

(٢) ـ ابن أبي شيبة، المصنف ٢١٥/١٥ ـ ٢٢٠،وانظر الملحق الرواية رقم: [٦٤].

(٣) ـ خليفة بن خياط، التاريخ ١٦٨، ومن طريقه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان

أتى هذه الآية: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ؟ [1].

فقالوا له: قف، أرأيت ما حميت من الحمى؟ آلله أذن لك أم على الله تفتري؟ فقال: امضه نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى فإنّ عمر حماه قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد من إبل الصدقة، امضه، قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول: امضه نزلت في كذا فما يزيدون، فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه شرطاً، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا، ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم ، ثم رجعوا راضين[2].

وبذلك يتبين ضعف ما روي من أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أرسل خمسين راكباً، أميرهم محمد بن مسلمة وفيهم جابر ـ رضي الله عنه ـ ، إلى وفد المصريين في ذي خشب، وأنهم وجدوا رجلاً من القوم معلقاً المصحف في عنقه، تذرف عيناه دموعاً، وبيده السيف، وهو يقول: ألا إن هذا ـ يعني المصحف ـ يأمرنا أن نضرب بهذا ـ يعني السيف على ما في هذا ـ يعنى المصحف ـ وأن محمد بن مسلمة قال له: اجلس، فقد ضربنا بهذا على ما في هذا قبلك، فجلس ، وأنه لم يزل يكلمهم حتى رجعوا[3].

ونزل القوم في ذي المروة ، قبل مقتله بما يقارب شهراً ونصف[4].

فأرسل عثمان إليهم علياً ـ رضي الله عنه ـ ورجلاً آخر لم تسمه الروايات.

---

(١) ـ سورة يونس ،الآية ٥٩ .

(٢) ـ رواه خليفة وغيره من رواية أبي سعيد مولى أبي أسيد، وإسناده حسن ، انظر الملحق الرواية رقم:[٦٤].

(٣) ـ رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان ، ٣٢١، من رواية جابر رضي الله عنه. ثم روىُ نحوه من رواية ابن سعد عن الواقدي انظر الملحق الرواية: [٣٢٨].

(٤) ـ انظر تخريج كتابه إلى أهل العراق.

والتقى بهم علي ـ رضي الله عنه ـ فقال لهم: تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[1].

وفي رواية أنهم شادُّوه، وشادهم مرتين أوثلاثاً، ثم قالوا : ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[2].

فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة ، وكتبوا ذلك في كتاب.

وأن يُرد ابن عامر على البصرة، وأبو موسى الأشعري على الكوفة[1]، وأن يؤدى إلى كل ذي حق حقه، ولم يكتبوا هذه، ثم انصرفوا راجعين إلى الكوفة[1].

هكذا اصطلح عثمان ـ رضي الله عنه ـ مع وفد كل مصرٍ على حده، ثم انصرف الوفدان إلى ديارهم، راضين.

وفي رواية أن عثمان اجتمع مع أهل الأمصار جميعاً، وأنه قال لهم :ليقم أهل كل مصر يسألوني صاحبهم، الذي يحبونه فأستعمله عليهم، وأعزل عنهم الذي يكرهون، فقال أهل البصرة: رضينا بعبدالله بن عامر، فأقره علينا، وقال أهل الكوفة: اعزل سعيداً، واستعمل علينا أبا موسى ففعل، وقال أهل الشام: قد رضينا بمعاوية فأقره علينا، وقال أهل مصر: اعزل عنا ابن ابي سرح، واستعمل علينا

(١) ـ رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان ص ٣٢٨، من طريق خليفة وغيره، انظر الملحق ص ٢٣٤ . وخليفة بن خياط، التاريخ ، ١٦٩ ـ ١٧٠ مختصراً، كلاهما من طريق ابن سيرين، والإسناد إليه صحيح، إلا أنه لم يدرك الفتنة، فقد ولد سنة ٣٣ هـ ، والفتنة كانت سنة ٣٥ هـ، ولبعضه شواهد انظر الملحق الرواية رقم: [١٥٠].

(٢) ـ جاء ذلك في رواية ابن عساكر المتقدمة التي من غير طريق خليفة.

عمرو بن العاص، ففعل، فما جاؤوا بشيء إلا خرج منه ، فانصرفوا راضين[1].

وبعد عقد الصلح ، كتب عثمان ـ رضي الله عنه ـ كتاباً إلى أهل العراق يقول فيه: «إن جيش ذي المروة نزلوا بنا فكان مما صالحناهم عليه: أن يؤدى إلى كل ذي حق حقه، فمن كان له قِبَلَنا حق فليركب إليه، فإنْ أبطأ أو تثاقل فليتصدق فإن الله يجزي المتصدقين»[2].

وبعد هذا الصلح العظيم وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطا آخر يذكي الفتنة ويحييها، يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان ـ رضي الله عنه ـ وبرز ذلك فيما يأتي:

في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم ـ يظهر أنه هارب منهم ـ ، فكأنه يقول : خذوني ، فقبضوا عليه، وقالوا له: مالك؟ فقال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان ـ رضي الله عنه ـ وعليه خاتمه إلى عامل مصر، فتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[3].

---

(١) ـ رواه ابن أبي شيبة (المصنف ١٥/ ٢٢٠ - ٢٢٢) وإسناده ضعيف؛ ففيه حسين بن نمير اختلط والراوي عنه ابن نمير وهوممن روى عنه بعد الاختلاط، كما أن فيه نصاً، وفي الإسناد أيضًا: جهيم الفهري الذي لم يوثقه غير ابن حبان (انظرالملحق الرواية رقم:[٢١٨])، وتشهد لبعضه الرواية السابقة.

(٢) ـ رواه ابن عساكر بإسناد حسن (تاريخ دمشق ترجمة عثمان رضي الله عنه ٣٦٢، ٤٨٧ - ٤٨٨) انظر الملحق الرواية رقم: [٧٥].

(٣) ـ رواه خليفة وغيره من رواية أبي سعيد مولى أبي أسيد، وإسناده حسن ، انظر الملحق الرواية رقم:[٦٤] وأحمد في فضائل الصحابة ٤٧١ وابن شبة ٣/ ١٣٣ .

وقبل أن نخوض في محاولات لكشف شخصية كاتب هذا الكتاب ، هناك دلائل تشكك في صحة ما أشاعه أهل الأمصار من وجود هذا الرجل الذي يحمل هذا الكتاب، فلماذا لا يكونون قد ألفوا كتاباً في أثناء الطريق وعادوا به مظهرين أنهم وجدوه مع رجل على جمل؟.

ومما يقوي ذلك، أنه لم تنقل المصادر أنهم انتقموا من هذا الرجل الذي يحمل هذا الكتاب الذي فيه هلاكهم، خاصة وأنهم قوم لم يتورعوا عن دم خليفتهم وأميرهم ،فمن باب أولى أنهم لا يتورعون عن دم هذا الرسول.

ولو افترضنا صحة هذا الزعم، فلم يسلك هذا الرسول طريقهم؟ أليس هناك طرق إلى مصر غير طريقهم؟ وإذا لم يكن هناك طريق أخرى ألا يستطيع أن ينحرف عن الطريق عند اقترابه منهم، ثم يعود إلى الطريق نفسه؟.

ولم يتَعرض لهم ويفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم، فلم هذه التصرفات التي تدعوهم إلى القبض عليه.؟

وإذا كان مرسله عثمان ـ رضي الله عنه ـ أو أحد ممن هم حوله، ألايرشدونه إلى هذه التعليمات التي تعينه على التملص من أهل مصر، وينبهونه إلى أن يتستر ويخفي مضمون هذا الكتاب؟ ! بلى هذا هو المتحتم من خلال هذا الموقف.

ولكن انظر إلى هذا الرسول ـ المزعوم ـ عندما قبض عليه ، قالوا له: مالك؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر.

ففتشوه فإذا هم ـ كما في الرواية ـ بالكتاب على لسان عثمان ـ رضي الله عنه ـ عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم.

ومن الذي يؤكد لنا أن الخاتم خاتم عثمان ـ رضي الله عنه ـ؟ فلم تنقل لنا

المصادر أن أحداً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد رأى هذا الخاتم وأقر أنه خاتمه.

عاد القوم بعد ذهابهم يحملون هذه الأخبار، التي لا يستبعد إطلاقاً أن تكون ممثلة ملفقة، وقدموا المدينة.

وتفصل بعض الروايات الضعيفة في ذهابهم إلى بعض الصحابة وعرض الكتاب عليهم، إلا أنه لم يصح في ذلك شيء من الروايات.

ونفى عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه.

ولا نشك، نحن في صدق عثمان ـ رضي الله عنه ـ كما أنهم لا يشكون هم في ذلك ولكنهم لم يعبؤوا بهذا الحلف منه؛ لأنهم ـ ربما ـ يعرفون مسبقاً أنه ليس بكاتب الكتاب وإنما هي حيلة لنقض العهد الذي أسفوا على إبرامه، أو أسف، واغتاظ مشعلوا الفتنة على وقوعه.

إذا فرضنا أنهم وجدوا كتاباً فعلاً بخط كاتب عثمان ـ رضي الله عنه ـ وعليه خاتمه، فمن ذا الذي يكون قد باء بإثم تزويره؟!

يتهم بعضهم مروان بن الحكم في ذلك، وأنه افتأت[1] على عثمان ـ رضي الله عنه ـ بكتابته، واستبعد ذلك جداً، لما تقدم من أن تفاصيل خطة إرسال هذا الكتاب تدل على أن مرسله لم يكن يريد إيصاله إلى مصر، وإنما يهدف إلى إطلاع وفد أهل مصر عليه، ولا مصلحة البتة لمروان في ذلك.

---

(١) ـ افتأت : أي اختلق (ابن منظور ، لسان العرب ٢/ ٦٤).

والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أن مزيفه هو ابن سبأ، أو أحد أعوانه، فهذه من عاداته القبيحة التي استخدمها في إشعال الفتنة، فليس هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد المزور في هذه الفتنة؛ بل زُوِّر غيره على ألسنة بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كعائشة، وعلي رضي الله عنهما .

بعد عودتهم هذه حاصروا الدار، وقاموا بأبشع المعاملة مع الخليفة ـ عثمان رضي الله عنه ـ ،وتصرفوا أقبح التصرفات. وفي الباب الآتي تفصيل ما جرى أثناء الحصار.